

الاتجاه الإبداعي في تفسير القرآن الكريم (تفسير ابن عاشور نموذجاً) د. نشوان عبده خالد¹

ملخص البحث

يتناول هذا البحث الاتجاه الإبداعي في التفسير بصورة عامة ليعطي القارئ الكريم تصوراً علمياً عن أبرز الجوانب الإبداعية التي تطرق إليها المفسرون في تفاسيرهم المختلفة والمتعددة. ولقد اختار الباحث من خلال هذا البحث الحديث حول الإبداع ومفهومه، والتفسير ومفهومه، والفرق بينه وبين التأويل، والمقصود بالاتجاه التفسيري، وتحدث حول ثلاثة اتجاهات تفسيرية وهي: التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي باعتبارهما اتجاهات تفسيرية قديمة وشهيرة، واتجاه التفسير العلمي باعتباره قديم جديد، ثم أبرز البحث اتجاه التفسير التجديدي الإبداعي المقاصدي لدى ابن عاشور باعتباره من التفاسير الحديثة، ولا يعني ذلك تغطية جميع الاتجاهات التفسيرية، فهناك اتجاه التفسير الفقهي، واتجاه التفسير الموضوعي، واتجاه التفسير الأدبي الاجتماعي، وغيرها من الاتجاهات.

وقد الباحث أراد من ذلك إعطاء لمحة موجزة ومفيدة حول الاتجاه الإبداعي في التفسير، ليصل بالقارئ إلى أنه إذا توفرت دواعي الاجتهاد والاستنباط، وشروط المفسر فإن المجال فسيح لتفسير آيات القرآن وفق الضوابط التفسيرية التي لا تخرج القرآن عن مقصوده، وتسعى لتوسيع دلالات القرآن، وإعمال المقاصد القرآنية في التفسير ليتناسب بذلك مع واقع المجتمع وأحوال العصر، وأن باب التدبر مفتوح لمن أراد أن يلجّه، والعصمة للقرآن ثابتة، أمّا الأقوال التفسيرية فهي اجتهادات تتباين، ورؤى تختلف من مفسر إلى آخر.

ولقد سلك الباحث في ذلك المنهج الاستقرائي لجمع النصوص والأقوال والشواهد، ثم المنهج التحليلي لدراسة تلك النصوص والأقوال والشواهد، وإبراز الجوانب الإبداعية التي مارسها المفسرون، مع بعض التوضيح لمنهج ابن عاشور الإبداعي من خلال تفسيره التحرير والتنوير.

¹ طالب دكتوراه، قسم القرآن والسنة، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

وقد ختم البحث بخاتمة ذكر فيها الباحث أهم النتائج التي توصل إليها.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، مالك الملك الكبير المتعال، منزل الفرقان هادياً للثقلين إلى أقوم نهج وأكرم منال، وأشهد أن لا إله إلا الله المتفرد بالعظمة والجلال، جعل العقل مناط التكليف ليرى به الناس الحق من الضلال، وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم خير من فسر التنزيل ورفع الإشكال، صلى الله عليه وعلى آله وصحابه وسلم تسليماً كثيراً ما تعاقبت الأيام والليال وبعد: فإن التفسير من أجل العلوم وأشرفها لتعلقه بكتاب الله تعالى، وصلته الوثيقة به، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهو أجل العلوم الشرعية، وأشرف صناعة يتعاطاها الإنسان"²، ولذلك كان التنافس بين السابقين قائماً، ولا يزال بين المتأخرين جارياً في التصنيف في التفسير، والتأليف فيه، فالقرآن لا تنقضي عجائبه، وهو كتاب مستوعب للمتغيرات والمستجدات في كل زمان ومكان ولقد اهتم المفسرون عبر مراحل تاريخ هذه الأمة بوضع القواعد المنهجية التي ترسموها في تفاسيرهم، وكشف الباحثون القناع على معظم أسس تلك المناهج والطرق، وأبانوها بالدراسات والتحقيقات. وقد تمحورت المراحل أو قُلْ هذه الحركة العلمية التفسيرية بمراحل أربعة³:

مرحلة التأسيس لعلم التفسير⁴.

ومرحلة التأصيل⁵.

ومرحلة التفريع⁶.

² ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد عبد الحليم، مقدمة التفسير، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، (السعودية: الطبعة الثالثة، 1426هـ/2005م) ص143.

³ انظر: الخالدي، صلاح عبدالفتاح، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، (دمشق: دار القلم، الطبعة الثالثة، 1429-2008م) ص35.

⁴ وهي المرحلة التي نشأ فيها التفسير، وتأسس، وكان بدايتها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، واستمرت على مدار القرون الثلاثة الأولى، التي شهد لها النبي صلى الله عليه وسلم بالخير والفضل.

⁵ وهي مرحلة التقعيد لعلم التفسير، وكانت في نهاية القرن الثالث، وإمام هذه المرحلة إمام المفسرين وحجتهم: محمد ابن جرير الطبري.

وأخيراً مرحلة التجديد⁷.

ولكل مرحلة من المراحل السابقة مميزات ومنهجيتها وخصائصها، إلا أن الاتجاه الإبداعي ظل محدوداً ومبتوثاً متفرقاً في بطون المؤلفات والمصنفات الحافلة بما لذ وطاب من المباحث والتأويلات، فالباحث المتتبع لشتى التصنيفات والمؤلفات يقف على أسس وكيفية الإبداع الذي انتهجه أئمة التفسير، فقد حاول المفسرون البحث عن الطرق الجديدة، والإبداعية، بموضوعية أحياناً وفي بعض الأحيان تأثرت آراءهم التفسيرية، ببعض التوجهات المذهبية والعصبية، فلكل جواد كبوة ولكل صارم نبوة، ويأتي هذا البحث في إطار التوجه الموضوعي الداعم لروح الإبداع والتجديد، فعندما تراجعت هذه الحركة الإبداعية، وعكف الناس على ما قاله الآخرون تعطلت العقول وجمدت وركنت إلى الفضول من الاهتمامات فتخلف بها الركب وسبقها أعداؤها في غالب ميادين الحياة، فغاب التجديد وظهر التبديد، وأفل نجم التطوير وحل بها ليل التدمير .

إشكالية البحث وأسئلته:

انطبع على أذهان الكثير من الناس أن الاتجاه التفسيري اتجاه خال من الدراسات الإبداعية، وأنه قد يوجد تمايز في المناهج التفسيرية، وتعدد في الأقوال، إلا أن هذه الفئة من الناس لم يقفوا كثيراً عند الدراسات في علم التفسير لاسيما تلك الدراسات الإبداعية في التفسير، وظنوا أن المفسرين ليس في مناهجهم أبعاديات الابتكار والإبداع، وحاول رواد كل اتجاه أن يثبت حجته ودحض حجة الآخر عبر تلك الطرق، وإظهار توجهه التفسيري، ونظراً لظهور هذه الإشكالية خاصة في أوساط الفئة المثقفة من الناس رأى الباحث أن يدلي بدلوه في دراسة هذا النوع من التوجه لدى المفسرين، في محاولة لتوضيح الاتجاه الإبداعي لدى المفسرين مبيناً دلالاته وأبعاده.

⁶ وفي هذه المرحلة انتقل التفسير من التأصيل إلى التفريع وفقاً للقضايا والأحداث، ووفقاً لما برع فيها المفسر من العلوم، وظهرت في هذه المرحلة عدة اتجاهات للتفسير منها: التفسير بالمأثور، والتفسير البياني، والفقهية، والعقلية، وغيره.

⁷ وهي مرحلة اتسمت بالتجديد الصحيح السليم، القائم على الإبداع والحسن، والاستفادة من العلوم المعاصرة، والتوسع في أبعاد الدلالات القرآنية، وإنزالها على الواقع بما يتناسب مع الزمن ويحل المشكلات، وقد بدأت هذه المرحلة في القرن الرابع عشر الهجري، إلى وقتنا الحاضر.

ومن ناحية أخرى فقد كان للنظرة السائدة في تعظيم شأن القرآن، والتي أخذت مجرى آخر أثر في ذلك التوجه الإبداعي لدى المفسرين، فقد اقتضت نظرة بعضهم على ظاهر النصوص، مع إغفال المعاني والمقاصد، بينما تركزت النظرة الأخرى حول نقل الأقوال السابقة دون التجديد أو حتى محاولة ذلك، ونظراً لهذه الإشكالية يحاول الباحث الإسهام في نفض الغبار عن تلك النظرة القاصرة، وذلك الفهم الناقص.

وسوف يحاول هذا البحث حل تلك الإشكالية من خلال الإجابة على الأسئلة الآتية:
ما مفهوم الاتجاه التفسيري عند أهل اللغة وفي اصطلاح أهل التفسير؟ وما مفهوم الإبداع لغة واصطلاحاً؟ وما أبرز جوانب الإبداع لدى المفسرين في التفسير بالمأثور والرأي والتفسير العلمي؟ وما أبرز جوانب الإبداع في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور؟
وبالتالي فإن البحث يروم إلى تحقيق الأهداف الآتية: بيان مفهوم الاتجاه في اللغة وفي الاصطلاح. وإيضاح مفهوم الإبداع في الاتجاه التفسيري، وكيف تعامل معه المفسرون. وكذلك إبراز بعض الجوانب الإبداعية في التفسير بالمأثور والرأي والتفسير العلمي. مع تحليل بعض الجوانب الإبداعية ابن عاشور كما وردت في تفسيره التحرير والتنوير.

وبناءً على ما سبق من الأهداف التي يروم البحث إلى تحقيقها فإن الباحث يسعى إلى اتباع منهجية علمية تتمثل في الآتي: المنهج الاستقرائي: وذلك لغرض جمع معظم ما يتعلق بالموضوع من بطون الكتب والمؤلفات، والاستفادة من المجالات المحكمة، والبحوث والدراسات، و المنهج الوصفي والتحليلي: وذلك لتوصيف معاني ومفاهيم البحث كمفهوم الاتجاه، والإبداع، والتفسير والتأويل، ومن ثم تحليل تلك المفاهيم وإبراز جوانب الإبداع.

المبحث الأول: التعريف بأهم المفاهيم والمصطلحات ويشمل:

المطلب الأول: تعريف الاتجاه لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف الإبداع لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: تعريف التفسير والتأويل لغة واصطلاحاً، والفرق بينهما.

يتناول هذا المبحث الحديث حول التعريف بأهم المفاهيم والمصطلحات المستخدمة في البحث، والتي توضح لنا الركائز الأساسية التي يشتمل عليها البحث، وتعطينا صورة عن أهم القوالب التي يتركب منها، ومحدداته الأساسية.

المطلب الأول: تعريف الاتجاه لغة واصطلاحاً.

تعريف الاتجاه في اللغة:

يقصد من الاتجاه في اللغة المسار، والنحو الذي يحدد الوجه التي يترتب عليها أي عمل ما، جاء في لسان العرب: "والجهة النحو تقول كذا على جهة كذا وتقول رجل أحمر من جهته الحمرة وأسود من جهته السواد والوجهة والوجهة القبلة وشبهها في كل وجهة أي في كل وجه استقبلته وأخذت فيه واتجهت إليك أتجه أي توجهت"⁸.

ويقول ابن فارس: "والوجهة كل موضع استقبلته، قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ [البقرة: 148]. ووجهت الشيء: جعلته على جهة، وأصل جهته وجهته⁹، وبناء على ما سبق من المعاني اللغوية فإن المقصود بالاتجاه هنا: الوجهة التفسيرية التي يقصدها المفسر من خلال تفسيره.

تعريف الاتجاه التفسيري في الاصطلاح:

عرّفه الدكتور محمد إبراهيم شريف بقوله: "ومفهوم الاتجاه يتحدد أساساً بمجموعة من الآراء والأفكار والنظرات والمباحث التي تشيع في عمل فكري ما — كالتفسير — بصورة أوضح من غيرها، وتكون غالبية على ما سواها، ويحكمها إطار نظري أو فكرة كلية تعكس بصدق مصدر الثقافة التي تأثر بها صاحب التفسير ولونت تفسيره بلونها"¹⁰، ولعل هذا التعريف أقرب إلى مقصودنا في تحديد معنى الاتجاه الإبداعي في التفسير.

⁸ منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، (بيروت: دار صادر — الطبعة الأولى) ج13، ص555.

⁹ ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، الطبعة 1399هـ - 1979م) ج6، ص89.

¹⁰ شريف، محمد إبراهيم، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، (القاهرة: دار السلام، الطبعة الأولى، 1429هـ/ 2009م) ص60.

المطلب الثاني: تعريف الإبداع لغة واصطلاحاً.

تعرف الإبداع في اللغة:

جاء في لسان العرب: "بدع الشيء يبدعه بدعا وابتدعه أنشأه وبدأه.. والبديع والبدع الشيء الذي يكون أولاً، وفي التنزيل: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:9]، أي ما كنت أول من أرسل، وفلان بدع في هذا الأمر أي أول لم يسبقه أحد"¹¹.

وجاء في مقاييس اللغة: (بَدَعَ) الباء والdal والعين أصلان: أحدهما ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال، والآخر الانقطاع والكلال... ويقال الإبداع لا يكون إلا بظلع. ومن بعض ذلك اشتقت البدعة"¹². وجاء في مختار الصحاح: "أَبْدَعَ الشيء اخترعه لا على مثال والله بديع السماوات والأرض أي مُبْدِعُهُمَا"¹³، وبناء على سبق من المعاني لمادة بدع فإن معانيها تتمثل في الآتي: الإنشاء والابتداء، الأولية في عمل الشيء، الانقطاع والتعب، الاختراع على غير مثال سابق.

تعريف الإبداع في الاصطلاح: يجد الباحث أن لفظ الإبداع كان متداولاً في القديم ومن ذلك، وصف الموفق عبد اللطيف لابن الجوزي حيث وصفه بقوله: "وأما السجع الوعظي فله فيه ملكة قوية، إن ارتحل أجاد، وإن روى أبدع"¹⁴.

فإن الإبداع يطلق عند البلاغيين ويراد به شيئان، أحدهما: أن يخترع المتكلم معاني غير مسبوق إليها والثاني: أن يأتي في البيت الواحد، أو في القطعة الواحدة من الشعر، وربما كان في الكلمة الواحدة ضربان من البديع ومتى لم يكن كذلك فليس بإبداع كقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا

¹¹ ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص6. الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، د.ط، 1415هـ/1995م) ص688.

¹² ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج1، ص208-209.

¹³ الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، د.ط، 1415هـ/1995م) ص73.

¹⁴ انظر: شمس الدين محمد الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام، تحقيق: د.عمر عبد السلام تدمري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1407هـ/1987م) ج42، ص303.

أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَّمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ [هود: 44]¹⁵.

ولقد تعددت تعريف الإبداع حيث أوصلها (كالفن تيلور) الذي قاد مؤتمرات جامعة يوتا لدراسة الإبداع إلى مائة تعريف¹⁶، صنف إلى خمسة مستويات للإبداع: المستوى التعبيري، المستوى الإنتاجي، المستوى الإختراعي، ومستوى الابتداع، والمستوى البزوعي.

ويرى سميث 1959م أن: "العملية الإبداعية هي التعبير عن القدرة على إيجاد علاقات بين أشياء لم يسبق أن قيل أن بينها علاقات، بينما يرى هافل أن الإبداع هو القدرة على تكوين ترتيبات أو تنظيمات جديدة"¹⁷، ويعرف بعضهم التفكير الإبداعي بأنه: "مزيج من خصائص وقدرات واستعدادات إذا وجدت بيئة مناسبة ترقى بالعمليات العقلية لتؤدي إلى نتائج أصيلة (جديدة)"¹⁸، بينما عرفه الدكتور على الحمادي بقوله: "هو مزيج من الخيال العلمي المرن، لتطوير فكرة قديمة، أو لإيجاد فكرة جديدة، مهما كانت الفكرة صغيرة، ينتج عنها إنتاج متميز غير مألوف، يمكن تطبيقه واستعماله".

ويفرق بعضهم بين الإبداع والابتكار: المبتكر: هو الذي يبتكر شيئاً لم يكن موجوداً من قبل، بينما المبدع: هو الذي يضيف شيئاً على ما هو موجود أصلاً في السابق. ومما سبق نستطيع القول بأن الاتجاه الإبداعي: هو مجموعة الآراء التي تصل إلى إيجاد الجديد، وتسهم في تغطية الحاجة، وتكون قابلة للقياس والواقعية. ونصل إلى أن الاتجاه الإبداعي في التفسير هو مجموعة الآراء والطرق التفسيرية التي لم يسبق إليها، وتتصف بالأصالة والتجديد، وتكون موافقة لمعنى النص القرآني.

¹⁵ تقي الدين ابي بكر الحموي، خزانة الأدب وغاية الإرب، تحقيق: عصام شعيتو، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ط1، 1987م) ج2، ص291.

¹⁶ د. حسن أحمد عيسى، الإبداع في العلم والفن، (الكويت: دار المعرفة، ط1، 1979م) ص15.

¹⁷ د. عبد الإله بن إبراهيم الجيزاني، لمحات عامة في التفكير الإبداعي، (السعودية: مجلة البيان، ط1، 1423هـ/2002م) ص5.

¹⁸ نورة أحمد العصيمي، استراتيجيات التفكير الإبداعي، (السعودية: وزارة التربية والتعليم، ط2، 1426هـ) ص19.

المطلب الثالث: تعريف التفسير والتأويل لغة واصطلاحاً، والفرق بينهما.

تعريف التفسير لغة:

التفسير مصدر على وزن تفعيل، وفعله الماضي رباعي مضعف: فسّر، تقول: فسّر، يُفسّر، تفسيراً، وتأتي هذه الكلمة في لغة العرب على المعاني الآتية:

جاء في لسان العرب لفظ "فَسَّرَ": "الفسر البيان فسّر الشيء يفسّره بالكسر وتفسره بالضم فسراً، وفسّره أبانه. وقوله عز وجل: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: 33]. الفسر كشف المغطى والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل"¹⁹. وقال ابن فارس: "الفَسْرُ: كلمة تدل على بيان شيء وإيضاحه. تقول: فسرت الشيء وفسرته"²⁰.

وقال الراغب الأصفهاني: "فسّر الفَسْرُ إظهار المعنى المعقول، والتفسير في المبالغة كالفسر"²¹. ومما سبق من المعاني اللغوية يتضح لنا أنّ من معني التفسير: البيان، والكشف، والإظهار، والتوضيح.

التفسير في الاصطلاح:

تعددت التعريفات الاصطلاحية للتفسير، وسيقتصر الباحث هنا على ذكر ثلاثة من التعريفات المشهورة، قال الإمام الزركشي: "التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ"²². وقال الشيخ الزرقاني في تعريف التفسير: "علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من

¹⁹ ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج5، ص55.

²⁰ ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، الطبعة 1399هـ - 1979م) مادة فسر، ج4، ص504.

²¹ الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاي، (لبنان: دار المعرفة) ص380.

²² الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار المعرفة، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، 1376هـ-1957م) ج1، ص13.

حيث دلالة على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية²³، وعرفه الإمام محمد الطاهر بن عاشور بقوله: "التفسير: اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن، وما يستفاد منها، باختصارٍ أو توسُّع"²⁴. ولعل هذا التعريف الأخير هو الأنسب.

والخلاصة في تعريف علم التفسير هي: هو ذلك العلم الذي يتم من خلاله فهم مراد الله تعالى من القرآن، وبيان معانيه، وما يستفاد منها، والكشف عن الأحكام الواردة، ورفع الغموض عن الآيات.

تعريف التأويل لغة واصطلاحاً:

تعريف التأويل لغة:

وأما التأويل فأصله في اللغة من الأوَّل ومعنى قولهم: ما تأويل هذا الكلام؟ أي إلام تؤول العاقبة في المراد به كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ [الأعراف: 53] أي تكشف عاقبته ويقال آل الأمر إلى كذا أي صار إليه وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: 82]. وأصله من المآل وهو العاقبة والمصير وقد أولته فآل أي صرفته فانصرف فكأن التأويل صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني

وإنما بنوه على التفعيل لما تقدم ذكره في التفسير، وقيل: أصله من الإيالة وهي السياسة فكأن المؤول للكلام يسوى الكلام ويضع المعنى فيه موضعه

تعريف التأويل اصطلاحاً:

يطلق التأويل ويراد به معنيان، فأما الأول فهو مرادف للتفسير، وأما الثاني فهو بمعنى مايؤول إليه الكلام ويرجع، يقول مناع القطان: "فتأويل الكلام في الاصطلاح له معنيان: الأول: تأويل

²³ الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة) ج 2، ص 3.

²⁴ ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، 1997م) ج 1، ص 11.

الكلام: بمعنى ما أوله إليه المتكلم أو ما يؤول إليه الكلام ويرجع، والكلام إنما يرجع ويعود إلى حقيقته التي هي عين المقصود. وهو نوعان: إنشاء وإخبار، ومن الإنشاء: الأمر²⁵.

الثاني: تأويل الكلام: أي تفسيره وبيان معناه. وهو ما يعنيه ابن جرير الطبري في تفسيره بقوله: "القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا"، وبقوله: "اختلف أهل التأويل في هذه الآية" فإن مراده التفسير. ذلك هو معنى التأويل عند السلف²⁶.

والتأويل في عرف المتأخرين: هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقتضيه به - وهذا الاصطلاح لا يتفق مع ما يُراد بلفظ التأويل في القرآن عند السلف²⁷.

الفرق بين التأويل و التفسير:

يرى الإمام الزركشي أن التفسير والتأويل لفظان متغايران، ويقر بوجود الفرق بينهما فيقول: "ثم قيل: التفسير والتأويل واحد بحسب عرف الاستعمال والصحيح تغايرهما واختلفوا ف قيل: التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل ورد أحد الاحتمالين إلى ما يطابق الظاهر"²⁸، وينقل قول الراغب الأصفهاني في أن التفسير أعم من التأويل فيقول:

²⁵ فتأويل الأمر: هو الفعل المأمور به، ومن ذلك ما روي عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي ، يتأول القرآن" . تعني قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر:3]، وتأويل الإخبار: هو عين المخبر إذا وقع. كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ، هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [الأعراف:52-53] ، فقد أخبر أنه فصل الكتاب، وأنهم لا ينتظرون إلا تأويله، أي مجيء ما أخبر القرآن بوقوعه من القيامة وأشراتها، وما في الآخرة من الصحف والموازين والجنة والنار وغير ذلك. فحينئذ يقولون: ﴿ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [الأعراف:53].

²⁶ القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، (مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، 1421هـ/2000م) ص336.

²⁷ المرجع السابق، ص337.

²⁸ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج2، ص149.

(الأول): "قال الراغب: التفسير أعم من التأويل وأكثر استعماله في الألفاظ وأكثر استعمال التأويل في المعاني كتأويل الرؤيا وأكثره يستعمل في الكتب الإلهية والتفسير يستعمل في غيرها والتفسير أكثر ما يستعمل في معاني مفردات الألفاظ"²⁹.

ثم يتابع ذكر الفروق فيقول: (الثاني): "واعلم أن التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن وبيان المراد أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره وبحسب المعنى الظاهر وغيره والتفسير أكثره في الجمل، والتفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ كالبحيرة والسائبة والوصيلة أو في وجيز مبين بشرح كقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: 43] وإما في كلام مضمن لقصة لا يمكن تصويره إلا بمعرفتها كقوله: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [التوبة: 37]، وقوله: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: 189] وأما التأويل فإنه يستعمل مرة عاما ومرة خاصا نحو الكفر يستعمل تارة في الجحود المطلق وتارة في جحود الباري خاصة والإيمان المستعمل في التصديق المطلق تارة وفي تصديق الحق تارة وإما في لفظ مشترك بين معان مختلفة.

(الثالث) وقيل: التأويل كشف ما انغلق من المعنى ولهذا قال البجلي: التفسير يتعلق بالرواية والتأويل يتعلق بالدراية وهما راجعان إلى التلاوة والنظم المعجز الدال على الكلام القديم القائم بذات الرب تعالى"³⁰. وقد ذكر مناع القطان فرقا رابعا في أن لهما معنيان متشابهان، فيقول: (الرابع): "إذا قلنا: إن التأويل هو تفسير الكلام وبيان معناه، فالتأويل والتفسير على هذا متقاربان أو مترادفان، ومنه دعوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لابن عباس: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"³¹.

المبحث الثاني: الاتجاه الإبداعي في التفسير

المطلب الأول: الاتجاه الإبداعي في التفسير بالمأثور.

المطلب الثاني: الاتجاه الإبداعي في التفسير بالرأي.

²⁹ المرجع السابق، ج2، ص149.

³⁰ المرجع السابق، ج2، ص149-150.

³¹ القطان، مباحث في علوم القرآن، مرجع سابق، ص338.

المطلب الثالث: الاتجاه الإبداعي في التفسير العلمي.

يتناول هذا المبحث الحديث حول الاتجاه الإبداعي في التفسير من خلال ثلاثة من أنواع التفسير وهي: التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، والتفسير العلمي، ويشمل ذلك التعريف بتلك الأنواع ونماذج لجوانب الإبداع فيها، وكيف نظر رواد كل اتجاه للآخرين مع بيان توجههم الإبداعي، وآرائهم التجديدية.

المطلب الأول: الاتجاه الإبداعي في التفسير بالمأثور.

لم يكن التفسير بشكل عام في بدايات مرحلة التدوين قد أخذ شكلاً مستقلاً له قواعده وأساسياته، وإنما كُتِبَ فيه كبابٍ من أبواب الحديث، وصنف فيه المصنفون على ذلك الأساس، يجمعون في ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة وعن التابعين ما ورد من أقوالٍ تفسيرية لبعض الآيات، وكان أرباب الشأن في ذلك هم المحدثين، ثم انفصل التفسير عن الحديث وصار علماً مستقلاً، فكان أول ما نقل في التفسير مستقلاً الصَّحِيفَةُ التي نقلها علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما، ثم وُجِدَ من ذلك جزء أو أجزاء دُوِّنت في التفسير خاصة، مثل ذلك الجزء المنسوب لأبي رَوْق، وتلك الأجزاء الثلاثة التي يرويها محمد بن ثور عن ابن جريج³²، ثم وجدت تفاسير كاملة جمعت كل ما وقع عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة وعن التابعين، ومن ذلك تفسير الإمام ابن جرير الطبري الذي يعتبر جهبذ المفسرين، وإمام التفسير.

يعرف الأستاذ محمد حسين الذهبي التفسير بالمأثور بأنه: "يشمل التفسير بالمأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نُقِلَ عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وما نُقِلَ عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما نُقِلَ عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم"³³.

³² انظر: الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، (القاهرة: مكتبة وهبة، الطبعة السابعة، 2000م) ج1، ص112

³³ الذهبي، التفسير والمفسرون، مرجع سابق، ج1، ص112.

والناظر في تاريخ التفسير بالمأثور يجد أنه تدرج ما بين الرواية والتدوين، فما كان منه مروياً بالسنة الصحيحة فلا شك في قبوله، وما سرى فيه الضعف، ودب فيه الوهن فلا حرج في رده، وأما التفسير الذي نقل عن الصحابة والتابعين مروياً في التفسير في المأثور فقد تسرب إليه الضعف³⁴ واعتراه الخلل، وذلك بسبب كثرة الروايات الموضوعة والمكذوبة التي دخلت فيه³⁵.

وبهذا نصل إلى أن التفسير بالمأثور هو الذي يستمد من القرآن، والسنة الصحيحة، وأقوال الصحابة، التابعين على خلاف في الأخير، وأن هذا النوع التفسيري اعتري بعضه الخلل والزلل.

أبرز الجوانب الإبداعية في التفسير بالمأثور:

إن أبرز الجوانب التي سلكها رواد مدرسة التفسير بالمأثور تتخلص ترتيب الأقوال وطريقة عرضها، وفي الترجيح بين الروايات بنسب متفاوتة، ورد الأقوال الضعيفة، وبيان أوجه القراءات، والترجيح في الأوجه اللغوية، والإنكار على التفسير بمجرد الرأي، وفيما يأتي بيان بعض من ذلك:

ترتيب الأقوال وطريقة عرضها:

ويعتبر الإمام ابن جرير الطبري إمام هذا الباب، والناظر في تفسيره يلمس بوضوح حجم إبداعه في طريقة ترتيب الأقوال وسردها، متبعاً في ذلك نسقاً واحداً من أول تفسيره إلى آخره، مع أنه لم يسبقه أحد في ترتيب الأقوال على هذا النحو الإبداعي، وإن لم يضيف شيئاً على إيراد الأقوال إلا في حالات نادرة.

الإنكار على التفسير بمجرد الرأي:

لقد سلك رواد الاتجاه النقلي في التفسير مسلكاً إبداعياً نقدياً لأصحاب الرأي المستقلين في التفكير، فمثلاً نجد الإمام ابن جرير الطبري يوجه رؤية نقدية لاذعة في توجيههم المتفتح، ويشدد على ضرورة الرجوع إلى العلم المنسوب إلى الصحابة أو التابعين والمنقول عنهم نقلاً صحيحاً مستفيضاً، ويرى أن ذلك وحده علامة التفسير الصحيح³⁶، فعلى سبيل المثال عندما تكلم عن

³⁴ يرجع العلماء الضعف الذي حصل في التفسير بالمأثور إلى ثلاثة أسباب: كثرة الوضع، ودخول الإسرائيليات، وحذف الإنسان، انظر: المرجع السابق، ج1، ص115.

³⁵ انظر: المرجع السابق، ج1، ص115.

³⁶ الذهبي، التفسير والمفسرون، مرجع سابق، ج2، ص184.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ﴾ [يوسف:49] نجده يذكر ما ورد في تفسيرها عن السلف مع توجيهه للأقوال وتعرضه للقراءات بقدر ما يحتاج إليه تفسير الآية، ثم يعرج بعد ذلك على مَنْ يفسّر القرآن برأيه، وبدون اعتماد منه على شيء إلا على مجرد اللغة، فيفند قوله، ويبطل رأيه، فيقول ما نصه³⁷: "... وكان بعض مَنْ لا علم له بأقوال السلف من أهل التأويل، ممن يُفسّر القرآن برأيه على مذهب كلام العرب، يوجه معنى قوله: ﴿وَفِيهِ يَعْرِضُونَ﴾ .. إلى: وفيه ينجون من الجذب والقحط بالغيث، ويزعم أنه مِنْ العصر، والعصر التي بمعنى المنجاة وذلك تأويل يكفى من الشهادة على خطئه خلافه قول جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين"³⁸.

وكثيراً ما يقف ابن جرير مثل هذا الموقف حيال ما يروى عن مجاهد أو الضحاك أو غيرها ممن يرون عن ابن عباس.

فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة:65] .. يقول ما نصه: "حدّثني المثنى، قال: حدّثنا أبو حذيفة، قال: حدّثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ قال: "مُسِخَتْ قُلُوبُهُمْ وَلَمْ يُمْسَخُوا قِرَدَةً، وَإِنَّمَا هُوَ مِثْلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ لَهُمْ، كَمِثْلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا".

ثم يعقب ابن جرير بعد ذلك على قول مجاهد فيقول ما نصه: "وهذا القول الذي قاله مجاهد، قول لظاهر ما دلّ عليه كتاب الله مخالف"³⁹.... الخ.

ومثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:229] .. نجده يروى عن الضحاك في معنى هذه الآية: أَنْ مَنْ طَلَّقَ لغير العِدَّةِ فَقَدْ اعتدى وظلم نفسه، وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظالمون. ثم يقول:

³⁷ المرجع السابق، ج2، ص184.

³⁸ الطبري، ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى،

1420هـ/2000م) ج16، ص131-132.

³⁹ المرجع السابق، ج2، ص173.

"وهذا الذي ذكر عن الضحاك لا معنى له في هذا الموضع، لأنه لم يجر للطلاق في العدة ذكر فيقال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾، وإنما جرى ذكر العدد الذي يكون للمطلق فيه الرجعة والذي لا يكون له فيه الرجعة، دون ذكر البيان عن الطلاق للعدة" ⁴⁰.

ومن الأمثلة على الترجيح بين الروايات: قوله: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾ [النساء: 24]. فقال بعضهم: معناه: فما نكحتم منهن فجامعتموهن يعني: من النساء ﴿فَاتَّوَهْنَ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ يعني: صدقاتهن، فريضة معلومة. وقال آخرون: بل معنى ذلك: فما تمتعتم به منهن بأجرٍ تمتع اللذة، لا بنكاح مطلق على وجه النكاح الذي يكون بوليٍّ وشهود ومهر ⁴¹.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين في ذلك بالصواب، تأويل من تأوله: فما نكحتموه منهن فجامعتموه، فاتتوهن أجورهن لقيام الحجة بتحريم الله متعة النساء على غير وجه النكاح الصحيح أو الملك الصحيح على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقد دللنا على أن المتعة على غير النكاح الصحيح حرام وأما ما روي عن أبي بن كعب وابن عباس من قراءتهما: (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى)، فقراءة بخلاف ما جاءت به مصاحف المسلمين ⁴². وغير جائز لأحد أن يلحق في كتاب الله تعالى شيئاً لم يأت به الخبر القاطع العذر عمن لا يجوز خلافه ⁴³. ... وهكذا نجد ابن جرير في غير موضع من تفسيره، ينبري للرد على مثل هذه الآراء التي لا تستند على شيء إلا على مجرد الرأي أو محض اللغة ⁴⁴.

وفي تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية مثلاً آخر للترجيح بين الروايات، يقول الذهبي في التفسير والمفسرون: "وأنا في أثناء قراءتي في هذا التفسير، رأيت ابن

⁴⁰ المرجع السابق، ج 4، ص 585.

⁴¹ الطبري، ابن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420هـ-2000م) ج 8، ص 175-178.

⁴² يقصد من ذلك أنها قراءة تفسيرية، وليست قراءة متواترة.

⁴³ المرجع السابق، ج 8، ص 179.

⁴⁴ الذهبي، التفسير والمفسرون، ج 2، ص 185.

عطية عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:26] .. يقول ما نصه: "قالت فرقة هي الجمهور: الحُسنى: الجنة. والزيادة: النظر إلى الله عزَّ وجلَّ، ورؤى في ذلك حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، رواه صهيب، ورؤى هذا القول عن أبي بكر الصديق، وحذيفة، وأبي موسى الأشعري.. ثم يقول: "وقالت فرقة: الحُسنى هي الحسنة، والزيادة هي تضعيف الحسنات إلى سبعمئة، فروتها حسب ما روى في نص الحديث وتفسير قوله تعالى: ﴿يُضَاعَفُ لِمَن يَشَاءُ﴾ ..، وهذا قول يعضده النظر، ولولا عظم القائلين بالقول الأول لترجح هذا القول" .. ثم يأخذ في ذكر طرق الترجيح للقول الثاني⁴⁵.

وفي تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي نجد الجوانب الإبداعية حيث يقسم الفرق التي ألفت في التفسير ويوضح مناهجهم في التفسير فيقول: "وظهر لي أن المصنفين في تفسير القرآن فرّق على طُرُقٍ مختلفة:

فرقة أهل البدع والأهواء، وعدّ منهم الجبائي والرماني، وفرقة من ألقوا فأحسنوا، إلا أنهم خلطوا بأباطيل المبتدعين بأقاويل السلف الصالحين، وعدّ منهم أبا بكر القفال، وفرقة اقتصر أصحابها على الرواية والنقل دون الدارية والنقد، وعدّ منهم أبا يعقوب إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، وفرقة حذف الإسناد الذي هو الركن والعماد، ونقلت من الصحف والدفاتر، وحرّرت على هوى الخواطر، وذكرت الغثّ والسمين، والواهي والمتين، قال: وليسوا في عداد العلماء، فصنّت الكتاب عن ذكرهم. وفرقة حازوا قصب السبق، في جودة التصنيف والحدق. غير أنهم طوّلوا في كتبهم بالمعادات، وكثرة الطُرُق والروايات، وعدّ منهم ابن جرير الطبري. وفرقة جرّدت التفسير دون الأحكام، وبيان الحلال والحرام، والحل عن الغوامض والمشكلات، والرد على أهل الزيغ والشبهات، كمشايع السلف الماضين، مثل مجاهد والسدي والكلبي⁴⁶.

وهكذا نجد أن الاتجاه الإبداعي في التفسير بالمأثور يتلخص طريقة إيراد الأقوال وترتيبها على غير سابق ترتيب، وفي طريقة الرد على المخالف، والإنكار على الأنواع التفسيرية الأخرى

⁴⁵ المرجع السابق، ج2، ص209.

⁴⁶ الذهبي، التفسير والمفسرون، ج2، ص199.

كالتفسير بالرأي، والترجيح بين الأقوال التفسيرية، وأوجه القراءات⁴⁷، والاختلاف في الأوجه اللغوية، وغير ذلك من الأمور التي تعتبر محل تحديد وتقييم من قبل المفسرين بالمأثور لغيرهم.

المطلب الثاني: الاتجاه الإبداعي في التفسير بالرأي

التفسير بالرأي يقابل التفسير بالمأثور، ويسمى بالتفسير العقلي؛ لأنه قائم على إعمال العقل والتفكير في التفسير في مقابل التفسير بالمأثور الذي يقوم على نقل الروايات المأثورة في التفسير، ويسمى كذلك بالتفسير النظري؛ لأنه قائم على النظر والتأمل الموصل إلى الأحكام والدلالات ويقابله التفسير بالمأثور القائم على الأثر والنقل، وهو نوعان: تفسير بالرأي المحمود، والآخر تفسير بالرأي المذموم.

يقول الذهبي في تعريف هذا النوع من التفسير: "فالتفسير بالرأي، عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلائلها، واستعانتة في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر"⁴⁸.

ويعرفه مناع القطان بقوله: "التفسير بالرأي: هو ما يعتمد فيه المفسر في بيان المعنى على فهمه الخاص واستنباطه بالرأي المجرد - وليس منه الفهم الذي يتفق مع روح الشريعة، ويستند إلى نصوصها - فالرأي المجرد الذي لا شاهد له مدعاة للشطط في كتاب الله"⁴⁹.

وقد اختلف فيه العلماء، فمنهم من أجازته، ومنهم من منعه، ولقد تحدث العلماء عن هذا الاختلاف، وبسطوا القول فيه، وذكروا أدلة المانعين وأدلة المجيزين بنوع من التوسع⁵⁰، ولعل الراجح الجواز بشروط أهمهما:

⁴⁷ ونجد ذلك في تفسير ابن جرير الطبري، في أكثر من موضع ومن المعلوم أن القراءات المتواترة لا يجوز الترجيح بينها كونها مصدرها التوقيف، واعتبارها متواترة يقتضي عدم الترجيح بين بعضها البعض.

⁴⁸ الذهبي، التفسير والمفسرون، مرجع سابق، ج1، ص183.

⁴⁹ القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، (مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، 1421هـ-2000م) ص362.

⁵⁰ انظر: الذهبي، التفسير والمفسرون، مرجع سابق، ج1، ص184-188.

أن يكون التفسير جارياً على قوانين العربية، ومناحي العرب في أقوالهم، مع الموافقة للكتاب والسنة الصحيحة، وهذا ما ذهب إليه الذهبي في التفسير والمفسرون⁵¹، ومنهم من أجاز له لثبوت الأدلة على ذلك⁵²

ومن الشروط كذلك: أن يكون المفسر عالماً بما يقول، وتفسيره لا يخرج عن دائرة المعقول شرعاً، وقد علق الإمام ابن تيمية على الأقوال الواردة عن الصحابة والتابعين في النهي عن التفسير بالرأي بقوله: "فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تخرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه"⁵³. وهذا الذي رآه ابن عاشور حيث يقول: "ثم لو كان التفسير مقصوراً على بيان معاني مفردات القرآن من جهة العربية لكان التفسير نزراً، ونحن نشاهد كثرة أقوال السلف من الصحابة، فمن يليهم في تفسير آيات القرآن وما أكثر ذلك الاستنباط برأيهم وعلمهم..."⁵⁴.

ومن الشروط أيضاً: امتلاك المفسر لأدوات الاجتهاد، أو بعضها، ومنها القدرة على إمعان النظر في النصوص لاستخراج دقائقها وكنوزها، وأن يكون التفسير وفق قواعد ومقاصد الشريعة عموماً، ووفق مقاصد القرآن وكتلياته التي جاء بها، وفي هذه الحالة لا يخرج التفسير عن دائرة فهم ما في الكتاب والسنة. روى البخاري عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: قلت لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال علي: لا. والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن..."⁵⁵.

⁵¹ انظر: الذهبي، التفسير والمفسرون، مرجع سابق، ج1، ص228-229.

⁵² الرومي، فهد بن عبد الرحمن، دراسات في علوم القرآن، (الرياض: الطبعة السادسة عشر، 1430هـ/2009م) ص175.

⁵³ ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار، (دارالوفاء، الطبعة الثالثة، 1426هـ/2005م) ج13، ص374.

⁵⁴ ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج1، ص28.

⁵⁵ انظر: محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا، (بيروت: دار ابن كثير، الطبعة الثالثة، 1407هـ/1987م) باب فكاك الأسير، حديث رقم: 2882، ج3، ص1110.

أبرز الجوانب الإبداعية في اتجاه التفسير بالرأي:

تتمثل جوانب الإبداع في هذا الاتجاه في مقامات متعددة، ولعل من أبرز تلك النقاط إعطاء مساحة للرأي في التفسير عن طريق إيراد أقوال جديدة أو عن طريق النقد الموجه إلى الذين قيدوا العقل عن استنباط الفوائد، واستخراج الفرائد، وكذلك إلى رواد الاتجاه النقلي الذي حصروا التفسير على الروايات التفسيرية فقط، دون النظر والتفكير والتأمل الذي تدل عليه نصوص الكتاب الكريم.

ففي تفسير مفاتيح الغيب للرازي مثلاً نجده ينقد الملتزمين بالتفسير النقلي، والذين يغيبون عمل العقل عن الغوص في أسرار الآيات، فيقول: "اعلم أنه مرَّ على لساني في بعض الأوقات، أن هذه السورة الكريمة - يريد الفاتحة - يمكن أن يُستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسألة، فاستبعد هذا بعض الحُساد، وقوم من أهل الجهل والغي والعناد، وحملوا ذلك ما ألقوه من أنفسهم من التعليقات الفارغة عن المعاني، والكلمات الخالية المعاهد والمباني، فلما شرعتُ في تصنيف هذا الكتاب، قدَّمتُ هذه المقدمة، لتصير كالتنبيه على أن ما ذكرناه أمر ممكن الحصول، قريب الوصول"⁵⁶. والرازي هنا ينقد الاتجاه النقلي في التفسير، ويصف أصحاب ذلك التوجه بالجهل، والعناد.

وبالرغم من المكانة التي حظي بها تفسير الرازي إلا أنه لم يسلم من النقد وجماع ما قيل عنه: "فيه كل شيء إلا التفسير"⁵⁷.

وفي تفسير أنوار التنزيل للبيضاوي نجد أن منهجه تمثل في نقد الروايات الإسرائيلية والتقليل من شأنها فمثلاً عند التصدير للرواية بالإسرائيليات يقول: روي أو قيل، إشعاراً منه بضعفها"⁵⁸. فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ بَنِيَّ يَقِينٍ﴾ [النمل: 22] يقول بعد فراغه في تفسيرها: رُوي أنه عليه السلام لما أتم بناء بيت المقدس تجهز للحج.. إلى آخر القصة التي يقف البيضاوي بعد روايتها موقف المجوِّز لها. غير

⁵⁶ الذهبي، التفسير والمفسرون، مرجع سابق، ج2، 253.

⁵⁷ المرجع السابق، ج2، ص253.

⁵⁸ المرجع السابق، ج2، ص256.

القاطع بصحتها، حيث يقول ما نصه: "ولعله في عجائب قدرة الله وما خصّ به خاصة عباده أشياء أعظم من ذلك، يستكبرها مَنْ يعرفها، ويستنكرها مَنْ ينكرها"⁵⁹.

ونجد الإمام البيضاوي كذلك يذكر منهجه الذي نهجه في آخر تفسيره، معبراً بلسان الناقد للتفسير المطولة، أو المختصرة المخلة فيقول: "وقد اتفق إتمام تعليق سواد هذا الكتاب المنظوي على فوائد ذوى الألباب. المشتمل على خلاصة أقوال أكابر الأئمة، وصفوة آراء أعلام الأئمة، في تفسير القرآن وتحقيق معانيه. والكشف عن عويصات ألفاظه ومعجزات مبانيه، مع الإيجاز الخالي عن الإخلال، والتلخيص العاري عن الإضلال، الموسوم بأنوار التنزيل وأسرار التأويل"⁶⁰.

الرؤية الإبداعية في تفسير النسفي: ونجد الإمام النسفي في تفسيره يذكر أن في تفسيره أقاويل أهل السنة، وأنه قد تحاشى أقاويل أهل البدعة فيقول: "قد سألتني من تتعين إجابته، كتاباً وسطاً في التأويلات، جامعاً لوجوه، الإعراب والقراءات، متضمناً لدقائق علمي البديع والإشارات، حالياً بأقاويل أهل السُّنة والجماعة، خالياً عن أباطيل أهل البدع والضلالة، ليس بالطويل الممل، ولا بالقصير المخل، وكنت أقدم فيه رجلاً وأوخر أخرى، استقصاراً لقوة البشر عن درك هذا الوطر، وأخذاً لسبيل الحذر عن ركوب متن الخطر، حتى شرعت فيه بتوفيق الله والعوائق كثيرة، وأتمته في مدة يسيرة، وسميته بمدارك التنزيل وحقائق التأويل"⁶¹.

رده للإسرائيليات: لقد تميز النسفي في رده القوي للإسرائيليات، خاصة في مقام الأنبياء فكان لا يتركها كما فعل من سبقه من المفسرين فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضُمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (219) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَعَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَخَكُمُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ [ص: 21-22] .. نراه - بعد أن يذكر من الروايات ما لا يتنافى مع عصمة داود عليه السلام - يقول ما نصه: "وما يُحكى أنه بعث مرة بعد مرة أوريا إلى غزوة اللقاء وأحب أن يُقتل ليتزوجها - يعني زوجه

⁵⁹ الذهبي، التفسير والمفسرون، مرجع سابق، ج2، ص256.

⁶⁰ المرجع السابق، ج2، ص257.

⁶¹ المرجع السابق، ج2، ص261.

أوريا - فلا يليق من المتسمين بالصلاح من أفناء الناس، فضلاً عن بعض أعلام الأنبياء، وقال علي رضي الله عنه: مَنْ حَدَّثَكُمْ بِحَدِيثِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَا يَرْوِيهِ الْقَصَاصُ، جَلَدَتْهُ مَائَةٌ وَسِتِينَ، وَهُوَ حَدُّ الْفَرِيَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ"، ومثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص:34] .. نراه يذكر من الروايات ما لا يتنافى مع عصمة سليمان عليه السلام، ثم يقول ما نصه: "وأما ما يُروى من حديث الخاتم والشيطان، وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام، فمن أباطيل اليهود"⁶².

الإبداع اللغوي في تفسير أبي حيان: وفي البحر المحيط لأبي حيان نجد أنه جعل من منهجه الاهتمام باللغة إلى حدٍ كبير، وبالمقابل نقد الأقوال الباطنية في تفسيره فنجده يقول: "وربما أملت بشئ من كلام الصوفية بما فيه بعض مناسبة لمداول اللفظ، وتجنب كثيراً من أقاويلهم ومعانيهم التي يُحْمَلُونَهَا الْأَلْفَاظَ وَتَرَكْتُ أَقْوَالَ الْمَلْحِدِينَ الْبَاطِنِيَّةِ، الْمَخْرَجِينَ الْأَلْفَاظَ الْعَرَبِيَّةَ عَنْ مَدْلُولَاتِهَا فِي اللَّغَةِ، إِلَى هَذَا بِنِهَايَةِ افْتِرَاقِهِ عَلَى اللَّهِ، وَعَلَى عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَعَلَى ذُرِّيَّتِهِ، وَيَسْمُونَهُ عِلْمَ التَّأْوِيلِ"⁶³.

وهكذا يتضح لنا الاتجاه الإبداعي في التفسير بالرأي، وحدوده التي كانت تمثل نطاقاً للتجديد وإعطاء العقل مساحة يتحرك فيها بما لا يبعده عن النص، ونرى أنه أوسع مساحة في الإبداع من التفسير بالمأثور.

المطلب الثالث: الاتجاه الإبداعي في التفسير العلمي

يعرف الذهبي التفسير العلمي بأنه: "التفسير الذي يُحْكَمُ الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها"⁶⁴. ويعرفه عدنان زرزور بأنه: "الاستناد إلى حقائق العلم التجريبي ونظرياته في شرح آيات الطبيعة والإنسان - آدم وبنيه - والتي وردت في القرآن الكريم في سياقات شتى، ومواقع متعددة"⁶⁵.

⁶² الذهبي، التفسير والمفسرون، مرجع سابق، ج2، 264.

⁶³ المرجع السابق، ج2، ص273.

⁶⁴ الذهبي، التفسير والمفسرون، مرجع سابق، ج2، ص349.

ولو أننا تتبعنا سلسلة البحوث التفسيرية للقرآن الكريم، لوجدنا أن هذه النزعة - نزعة التفسير العلمي - تمتد من عهد النهضة العلمية العباسية إلى يومنا هذا، ولوجدنا أنها كانت البداية عبارة عن محاولات، فُصد منها التوفيق بين القرآن، وما جدَّ من العلوم، ثم وُجدت الفكرة مركزة واضحة وصريحة على لسان الغزالي، وابن العربي، والمرسي، والسيوطي، ولوجدنا أيضاً أن هذه الفكرة قد طُبِّقت علمياً، وظهرت في مثل محاولات الفخر الرازي، ضمن تفسيره للقرآن، وقد تفرد بإظهار هذا النوع طنطاوي جوهرى في تفسيره "الجواهر في تفسير القرآن".

والقرآن الكريم في نظر رواد مدرسة التفسير العلمي يشمل العلوم الدنيوية كلها إلى جانب اشتماله في الأصل على العلوم الدينية والعقائدية، يقول الإمام الغزالي في الإحياء: "القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم، إذ كل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف، إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع"⁶⁶، ومن الأدلة التي يستدل بها رواد المدرسة العلمية كذلك، قول ابن مسعود رضي الله عنه: "مَنْ أَرَادَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فَلْيَتَدَبَّرِ الْقُرْآنَ"⁶⁷، ونجد كذلك مصطفى صادق الرافعي يؤيد هذه الاتجاه في التفسير حيث ينقل ما سمعه من مشائخه ومعلميه فيقول: "وقد استخرج بعض علمائنا من القرآن ما يشير إلى مستحدثات الاختراع، وما يحقق بعض غوامض العلوم الطبيعية"⁶⁸.

أبرز الجوانب الإبداعية في التفسير العلمي:

⁶⁵ زرزور، عدنان محمد، مدخل إلى تفسير القرآن الكريم وعلومه، (دمشق: دار القلم، الطبعة الثانية، 1419هـ-1998م) ص231.

⁶⁶ الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، (بيروت: دار المعرفة) ج1، ص289.

⁶⁷ أخرجه الغزالي في الإحياء، باب فهم القرآن وتفسيره، المرجع السابق، ج1، ص289.

⁶⁸ الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1425هـ/2005م) ص90.

الناظر في تفسير "الجواهر في تفسير القرآن الكريم" لطنطاوي جوهري⁶⁹، باعتباره المبلور لفكرة الاتجاه العلمي في التفسير؛ يجد أن أبرز الجوانب الإبداعية تمثلت في إدخال الجوانب العلمية للتفسير، وفي تنفيذ آراء الاتجاه الفقهي، وكذلك نقده الذين يقبلون على تعلم العلوم الأخرى، ولا يقبلون على التفسير العلمي للقرآن والنظر لما في الكون من الأسرار والآيات الكونية، وكذلك تصحيحه للمفاهيم حول نظام التعليم في العالم الإسلامي.

النظرة التصحيحية للاتجاه الفقهي في التفسير:

لعل النزعة التي تبناها طنطاوي جوهري تعتبر امتداداً للنزعة التصحيحية التي قال بها الغزالي، فمن المعلوم أن الغزالي كان من المؤيدين لفكرة التجديد في التفسير، فلقد اعترض رحمه الله على طريقة المتقدمين في تفسيرهم للقرآن، حين توسعوا في استنباط الأحكام الفقهية دون المعاني والحكم والمقاصد منها، فقال: "هناك التفسير الفقهي للقرآن، وهو تفسير طوع الآيات لأحكام الفقهاء وطريقتهم في الاستنباط، ولم يهتم إلا بآيات الأحكام التشريعية، واقتصر في ذلك على الحكم الشرعي، دون النظر إلى المقاصد الأخرى، وهذا فيه شيء يستدعي الاستدراك"⁷⁰.

غير أن طنطاوي جوهري قد وسع من دائرة التصحيح للاتجاه الفقهي، فنجد أنه يواجه اعتراضاً مباشراً لأصحاب التوجه الفقهي في التفسير، وللفقهاء عموماً، حيث يقول: "لماذا ألّف علماء الإسلام عشرات الألوف من الكتب الإسلامية في علم الفقه ... وعلم الفقه ليس له في القرآن إلا آيات قلائل لا تصل مائة وخمسين آية؟ فلماذا كثُر التأليف في علم الفقه، وقَلَّ جداً في علوم الكائنات التي لا تخلو منها سورة؟ بل هي تبلغ سبعمائة وخمسين آية صريحة، وهناك آيات أخرى دلالتها تقرب من الصراحة. فهل يجوز في عقل أو شرع أن يبرع المسلمون في علم

⁶⁹ يعتبر طنطاوي جوهري أول من بلور هذا التوجه في التفسير وذلك من خلال تأليفه لتفسير الجواهر، الذي أودع فيه كثير من النظريات العلمية والحقائق التي تدعم توجهه العلمي، وهو أزهرى ولد سنة 1859م وتوفي سنة 1940م، قام بالتدريس في مدرسة دار العلوم بالقاهرة وقد اهتم وكتب عدة مقالات في مجال ما سماه بالعجائب الكونية.

⁷⁰ الغزالي، محمد، كيف نتعامل مع القرآن، (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الثالثة، 1413هـ-1992م)

آياته قليلة. ويجهلوا علماً آياته كثيرة جداً؟ إن آباءنا برعوا في الفقه، فلنبرع نحن الآن في علم الكائنات .. لنقم به لترقي الأمة"⁷¹.

إن هذا النظرة التصحيحية والناقدة ربما قد أسهمت بشكر كبير في عزوف كثير من المثقفين عن قراءة هذا النوع من التفسير، ومما يؤكد ذلك مسلك النقد المباشر لهؤلاء وصفه للفقهاء بالمغرورين، فنجده يقول: "يا أمة الإسلام؛ آيات معدودات في الفرائض اجتذبت فرعاً من علم الرياضيات، فما بالكم أيها الناس بسبعمائة آية فيها عجائب الدنيا كلها .. هذا زمان العلوم، وهذا زمان ظهور نور الإسلام، هذا زمان رقيه، يا ليت شعري .. لماذا لا نعمل في آيات العلوم الكونية ما فعله آباؤنا في آيات الميراث؟ ولكني أقول: الحمد لله ... الحمد لله، إنك تقرأ في هذا التفسير خلاصات من العلوم، ودراستها أفضل من دراسة علم الفرائض، لأنه فرض كفاية، فأما هذه فإنها للازدياد في معرفة الله وهي فرض عَيْن على كل قادر ... إن هذه العلوم التي أدخلناها في تفسير القرآن، هي التي أغفلها الجهلاء المغرورون من صغار الفقهاء في الإسلام، فهذا زمان الانقلاب، وظهور الحقائق، والله يهدي مَنْ يشاء إلى صراط مستقيم"⁷².

رؤية التجديد للعلوم الأخرى، والتعليم الإسلامي:

لم تقتصر النظرة الإبداعية التي تبناها طنطاوي جوهرى نحو الاتجاه الفقهي فحسب، بل تعدت لتشمل أيضاً بعض العلوم الأخرى كعلم البلاغة والبيان وغيرهما، ولا أدل على ذلك من كتاباته إزاء التوجه البلاغي في تفسير القرآن الكريم، حيث يوجه في معرض حديثه حول حتمية تغيير نظام التعليم في العالم الإسلامي، ويتعرض لتصحيح علوم البلاغة فيقول: "إن نظام التعليم الإسلامي لا بد من ارتقائه، فعلم البلاغة ليست هي نهاية علوم القرآن، بل هي علوم لفظه، وما نكتبه اليوم علوم معناه، وانطباقها على العلوم التي أظهرها الله في الأرض، ولعل هذا الزمان سيظهر فيه آثار من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: 19]، فإن البيان المذكور في سورة القيامة فُسِّرَ بمعنى أننا نبينه بلسانك فتقرأه كما أقرأك جبريل، وبمعنى أنه إذا أشكل شيء من

⁷¹ جوهرى، طنطاوي، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1425هـ/2005م)

ج25، ص53.

⁷² المرجع السابق، ج3، ص19.

معانيه فنحن نبينه لك، وعلينا بيان ما فيه من الأحكام والعجائب ولا جَرَم أن ما يتجدد اليوم من العلوم مما ذُكر في هذا التفسير وما لم يُذكر، من البيان الذي أكد الله أنه يُظهره لأمة الإسلام، فالحمد لله الذي وفق في هذا التفسير لبعض العرفان تصديقاً لما ذكر الله من أن عليه البيان⁷³.

وهكذا نظر رواد مدرسة التفسير العلمي لغيرهم من الاتجاهات الأخرى في التفسير، مع أن من العيوب التي تؤخذ على رواد مدرسة التفسير العلمي أعمال النظريات العلمية المتغيرة في التفسير، والاستشهادات بما جاء في الأناجيل كأنجيل (برنابا)، وشرح بعض الحقائق الدينية بما جاء عن أفلاطون في جمهوريته، أو بما جاء عن إخوان الصفا في رسائلهم⁷⁴. وبهذه النظرة التصحيحية اللاذعة والمباشرة للآخر عزف الكثيرون عن الاستغراق والنظر لما يكتبه ويعلمه رواد مدرسة التفسير العلمي، ولم تلق كتبهم ذلك الرواج والرخم من قبل المثقفين.

المبحث الثالث: الاتجاه النقدي في تفسير التحرير والتنوير ويشمل:

المطلب الأول: التعريف بابن عاشور وعصره وآثاره العلمية.

المطلب الثاني: منهجية ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير.

المطلب الثالث: الاتجاه الإبداعي في تفسير التحرير والتنوير.

يتناول هذا المبحث التعريف بالشيخ ابن عاشور مختصراً، وذكر مناقبه العلمية باعتباره من رواد الاتجاه الحديث في التفسير، والمنهج الذي اتبعه ابن عاشور في تفسيره، ثم الاتجاه الإبداعي الذي يمكن أن نستخلصه من تفسير التحرير والتنوير.

التعريف بالإمام ابن عاشور: هو محمد الطاهر الثاني بن الشيخ محمد بن محمد الطاهر الأول بن محمد بن الشاذلي بن عبد القادر محمد بن عاشور الشريف الأندلسي ثم التونسي⁷⁵.

⁷³ المرجع السابق، ج25، ص40.

⁷⁴ انظر: الذهبي، التفسير والمفسرون، مرجع سابق، ج2، 445.

⁷⁵ انظر: العلي، هيا ثامر مفتاح، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير، (الدوحة: دار الثقافة، د.ط، 1994م) ص19.

وهو أحد أعلام الزيتونة أنار الفضاءات العلمية داخل الوطن العربي وخارجه بمشاركاته القيمة في تنشيط الحركة الفكرية وإثراء المكتبة العربية على امتداد قرن كامل.

ولد ابن عاشور سنة 1879م بتونس وسط عائلة علمية عريقة أنجبت العديد من الكفاءات في أكثر من تخصص معرفي كأحمد بن عاشور، ومحمد ابن عاشور، وجده المعروف به وسميه محمد الطاهر بن عاشور بالإضافة الى ابن المترجم له محمد الفاضل بن عاشور.

ومن أول وهلة ظهرت عليه علامات الذكاء الوقاد، وسرعة الحفظ والتصور وكانت همته عالية تزداد يوماً بعد يوم⁷⁶.

المطلب الثاني: منهج ابن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير

القارئ في تفسير الشيخ ابن عاشور التحرير والتنوير يستطيع أن يتبين منهج الشيخ ابن عاشور والخطوات التي اتبعها في تفسيره بوضوح وسهولة، فقد قدم ابن عاشور لتفسيره بمقدمات عشر ذات صلة بالتفسير وعلوم القرآن، أوضح من خلالها معظم منهجه والمصادر التي اعتمد عليها في تفسيره. وبعد تلك المقدمات بدأ بتفسير الآيات القرآنية في سورها مرتبة حسب ترتيب المصحف، ونجده يقدم للسورة بمقدمة يذكر فيها أسماء السورة. إن كان لها أكثر من اسم، ووجه تسميتها، ثم يذكر آراء العلماء في مكية السورة ومدنيتها، ورقمها في ترتيب النزول، ويستشهد في ذلك كله بالآثار والروايات. وبعد هذا يعرض أغراض السورة والموضوعات التي تحدثت عنها السورة على شكل نقاط، ثم يبدأ بتفسير الآيات. وأول ما يبدأ به هو بيان مناسبة الآية للسياق، ونلمح من هذا حرصه على إظهار الصلات الروابط بين الآيات الكريمة، وإبرازها كنسيج واحد، ونراه يهتم بالقراءات اهتماماً ملحوظاً، فهو يذكر القراءات، وينسبها إلى أصحابها، ثم يوجهها، وإن كان للآية سبب نزول يذكره مستعيناً به على فهم الآية، وبشكل عام فهو لا يكثر من الاستشهاد بالأحاديث النبوية والآثار الواردة عن الصحابة والتابعين، إلا ما كان له دور في ترجيح معنى على معنى، أو ترجيح مذهب فقهي على آخر.

⁷⁶ ابن الخوجة، محمد الحبيب، مجلة الهداية، العدد 3-4، ص 11.

ومن أهم المصادر التي اعتمد عليها بكثرة في تفسيره: تفسير الطبري، وتفسير الزمخشري، وابن عطية، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، وأبي السعود، والألوسي. وأهم هذه التفاسير بالنسبة له كان تفسير الزمخشري (الكشاف)، فقد نقل عنه كثيراً، ولعل السبب في هذا يعود إلى اهتمام ابن عاشور بإبراز الجانب البلاغي في الآيات، ومعلوم أن تفسير الكشاف من أبرز التفاسير التي اعتنت بهذا الجانب⁷⁷. إلا أن ابن عاشور لم يكن يوافق الزمخشري على آرائه جميعها، فهو يناقشه ويرد بعض أقواله، ولا تنحصر مصادر ابن عاشور في هذه المذكورة، فهو يستعين بغيرها كذلك، وإنما ذكرت أهمها.

ومما لاحظته في تفسير ابن عاشور أنه كان يحرص على إظهار الآداب التي توحى بها الآيات، والمعاني التي تحملها لتربية النفوس وتهذيبها، وهو بهذا يبرز الجانب التربوي في الآيات، الذي يعدّ من أهم الجوانب التي تظهر بها وظيفة القرآن الأولى، وهي الهداية، ومما يلفت النظر في تفسير ابن عاشور اهتمامه المميز بآيات الأحكام، فنراه يذكر أقوال الأئمة الأربعة في المسألة، وقد يتعدى ذلك إلى ذكر أقوال غيرهم.

ولعل أبرز معالم تفسير الشيخ رحمه الله غوصه في المباحث اللغوية، واستخراجه الدرر النفيسة التي حملتها الآيات، وما جاءت به من دقائق ولطائف بيانية، ونثره إياها في جنبات تفسيره، لينعم بالنظر إليها كل صيرفيّ خبير، وكل متدبر يبحث عن حسن التصوير.

المطلب الثالث: الاتجاه الإبداعي في تفسير التحرير والتنوير.

لقد تمثلت جوانب الإبداع في تفسير التحرير والتنوير في جوانب عديدة أهمها: نزعة الثقة والإبداع في منهجه منذ اللحظة الأولى: حيث يوضح لنا ذلك فيقول: "وطمعت أن أكون ممن أوتي الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس، هنالك عقدت العزم على تحقيق ما كنت أضمرته، واستعنت بالله تعالى واستخرته وعلمت أن ما يهول من توقع كلل أو غلط، لا ينبغي أن يحول بيني وبين نسج هذا النمط، إذا بذلت الوسع من الاجتهاد، وتوخيت طرق الصواب

⁷⁷ انظر: العلي، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير، مرجع سابق، ص 138.

والسداد، فأقدم على هذا المهم إقدام الشجاع على وادي السباع"⁷⁸، فهو بهذا المقال قد وثق بما عنده من العلم وأقدم على التفسير إقدام الشجاع، وسار في طريق الإبداع بسلوكه طريق الاجتهاد، وطريق الصواب والرشاد.

التزامه بالجديد في التفسير: ويظهر ذلك جلياً في المقدمة التي يذكر فيها هذا المنهج حيث يقول: "فجعلت حقاً أن أبدي في تفسير القرآن الكريم نكتاً لم أر من سبقني إليها، وأن أقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين لها تارة لها وآونة عليها، فإن الاختصار على الحديث المعاد تعطيل لفيض القرآن الذي ما له من نفاد"⁷⁹.

قدرته على التصنيف والتقسيم: ويتضح ذلك من خلال كلامه وتعليقه على أحوال الناس في عصره وطرق أخذهم من الأولين حيث يقول: "ولقد رأيت الناس حول كلام الأقدمين أحد رجلين: رجل معتكف فيما شاده الأقدمون، وآخر أخذ بمعوله فيهدم ما مضت عليه القرون، وفي كلتا الحالتين ضر كثير، وهناك حالة أخرى ينجبر بها الجناح الكسير، وهي أن نعلم إلى ما أشاده الأقدمون فنهذه ونزيده، وحاشا أن ننقضه أو نبيده، علماً بأن غمط فضلهم كفران للنعمة، وجحد مزايا سلفها ليس من حميد خصال الأمة"⁸⁰.

رؤيته التجديدية: حيث يرى أن من أسباب تأخر علم التفسير هو الولع بالتوقيف والنقل، اتقاء الغلط الذي عظموه في شأن القرآن، مما نتج عنه أن الناس أصبحوا يغتفرون في التفسير النقل ولو كان ضعيفاً أو كاذباً، ويتقون الرأي ولو كان صحيحاً صائباً لأنهم توهموا أن ما خالف النقل عن السابقين إخراج للقرآن عما أراد الله به، ومن هذا المنطلق نجد أن ابن عاشور ينقد ذلك الفعل فيقول: "فالتفاسير وإن كانت كثيرة فإنك لا تجد منها إلا عالة على كلام سابق لا حظ له لمؤلفه إلا الجمع على تفاوت بين اختصار وتطويل"⁸¹.

النظرة الجزئية النّقلية تقييد لفهم القرآن:

⁷⁸ ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 1، ص 6.

⁷⁹ المرجع السابق، ج 1، ص 7.

⁸⁰ المرجع السابق، ج 1، ص 7.

⁸¹ المرجع السابق، ج 1، ص 7.

يرى ابن عاشور أن النظرة الجزئية، والنقلية السابقة تعتبر تقييداً لفهم القرآن الكريم، وتضييقاً لمعناه الواسع الدلالة ولذا نرى ابن عاشور يوجه نقده لتلك النظرة الجزئية فيقول: "فقد أصبحت تلك النظرة تسجيلاً يقيد به فهم القرآن، ويضيق به معناه الذي كان يقولون فيه "لا تنقضي عجائبه ولا تنفذ معانيه" بأسباب جرت إلى هذا التضييق"⁸².

تسميته لتفسيره يتضمن معنى الإبداع والتجديد: أكبر دليل على الرؤية الإبداعية التجديدية المتجذرة عند ابن عاشور تسمية تفسيره بهذا العنوان: تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. الذي اختصره ليصبح "التحرير والتنوير من التفسير"⁸³. وغير ذلك من الرؤى الإبداعية التي تحلى بها تفسير ابن عاشور.

نقده للتفسير السابقة وإظهار الجديد في تفسيره: وهو في هذا الميدان ينقد التفسير التي لم تف بالغرض المطلوب خاصة في باب إظهار بلاغة القرآن الكريم، فيقول: "فن دقائق البلاغة هو الذي لم يخصه أحد من المفسرين بكتاب كما خصوا الأفانين الأخرى، من أجل ذلك التزمت أن لا أغفل التنبيه على ما يلوح لي من هذا الفن العظيم في آية من آي القرآن كلما ألهمته بحسب مبلغ الفهم وطاقة التدبر. وقد اهتمت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال"⁸⁴ ثم يتابع ابن عاشور التزامه بالتمييز مع على سبقه من المفسرين ونقده لطريقة بعضهم في البحث عن وجوه للتناسب بين السور فيقول: "واهتمت أيضاً ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وهو منزع جليل قد عني به فخر الدين الرازي، وألف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى: نظم الدرر في تناسب الآي والسور إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع، أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقاً على المفسر"⁸⁵.

⁸² ابن عاشور، محمد الطاهر، أليس الصبح بقريب، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006م) ص161.

⁸³ ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج1، ص8.

⁸⁴ المرجع السابق، ج1، ص8.

⁸⁵ المرجع السابق، ج1، ص8.

يرى ابن عاشور أن من أسباب تأخر علم التفسير⁸⁶ الوله بالتوقيف والنقل اتقاء الغلط الذي عظموه في القرآن حتى قال: "خطؤه كفر" فأصبح الناس يغتفرون النقل فيه ولو كان ضعيفاً أو كاذباً، ويتقون الرأي ولو كان صواباً حقيقياً⁸⁷.

إضافته المتميزة للمقاصد: حيث أدخل ابن عاشور المقاصد كمكون رئيس لتفسيره، وتحدث عنها في قوالب واضحة ومساقات متميزة، ولا أدل على ذلك من بسطه في المقدمة الرابعة الحديث حول فيما يحق أن يكون عليه غرض المفسر، ثم تناول المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبianaها، وحدده بثمانية مقاصد⁸⁸.

نماذج تطبيقية إبداعية في تفسير ابن عاشور:

وكما أن المستوى التنظيري الإبداعي عند ابن عاشور بدا واضحاً في معالم تفسيره، فكذلك المستوى التطبيقي الإبداعي يظهر جلياً بين ثنايا تفسيره، ولقد تمثل ذلك إirاده للمقاصد وفي ترجيحه بين الروايات المختلفة، وإبداء رأيه في مسائل الأحكام وفقاً لقواعد المقاصد التي سلك بيانها في مواضع كثيرة من تفسيره. وغير ذلك من الجوانب الإبداعية.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أنه يعتمد في الفقه والأحكام على المذهب المالكي بصورة رئيسة مع تعرضه للمذاهب الفقهية الأخرى، وكذلك لأقوال الصحابة والتابعين، وهو في كل ذلك يحقق تلك الأقوال ويرجحها ويقارن دون أن يتحجر باتباع معين أو اتجاه محدد، بل يسير مع أي رأي يتفق ومنهجه التشريعي، ورؤيته المقاصدية، وإن لاحظنا عليه غلبة واضحة للمذهب المالكي باعتباره منبع هذه الرؤية ومؤصلها⁸⁹.

86 ومن الأسباب التي ذكرها ابن عاشور كذلك: ضعف اللغة والبلاغة، الضعف في علوم يظنونها بعيدة عن القرآن، وهي ضرورية لمعرفة عظمتة العمرانية، مثل التاريخ وفلسفة العمران، والأديان، والسياسة، وكذلك من الأسباب خروج بعض التفاسير عن العلوم التي لها تعلق بفهم الآية كما فعل الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب.

⁸⁷ ابن عاشور، أليس الصبح بقريب، مرجع سابق، ص161.

⁸⁸ ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج1، ص39.

⁸⁹ انظر: واسي، صالح، منهج الإمام محمد الطاهر ابن عاشور الاجتهادي، (مجلة الهداية، العدد السادس والعشرون، السنة الثالثة والعشرون 1999م) ص43-52.

فما جاء في تفسير ابن عاشور في ترجيحه بين الروايات، ترجيحه لما رواه مالك في الموطأ عند الحديث حول صلاة الخوف حيث يقول ابن عاشور: "وذهب جمهور العلماء إلى أن الإمام يصلي بكل طائفة ركعة، وإنما اختلفوا في كيفية تقسيم الصلاة: بالنسبة للمؤمنين، **والقول الفصل في ذلك** هو ما رواه مالك في الموطأ، عن سهل بن أبي حثمة: إنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف يوم ذات الرقاع، فصفت طائفة معه وطائفة وجاه العدو، فصلى بالذين معه ركعة ثم قام، وأتموا ركعة لأنفسهم، ثم انصرفوا فوقفوا وجاه العدو، وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت له، ثم سلم، ثم قضا الركعة التي فاتتهم وسلموا وهذه الصفة أوفق بلفظ الآية، والروايات غير هذه كثيرة.

والطائفة: الجماعة من الناس ذات الكثرة. **والحق أنها لا تطلق على الواحد والاثنين**، وإن قال بذلك بعض المفسرين من السلف، وقد تزيد على الألف كما في قوله تعالى: ﴿عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [الأنعام:156]، وأصلها منقولة من طائفة الشيء وهي الجزء منه⁹⁰.

ومما ورد في تفسير ابن عاشور نزعتة المقاصدية الممزوجة بالتوجه الإبداعي في التفسير حيث التزم بهذه الوجهة في مواضع كثيرة العدد، فمن ذلك كلامه حول الآية: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:54] حيث يتحدث بنظرة مقاصدية إبداعية حول هذه الآية فيقول: "تشريع حكم لا يكون مثله إلا عن وحي لا عن اجتهاد وإن جاز الاجتهاد للأنبياء فإن هذا حكم مخالف لقاعدة حفظ النفوس التي قيل قد اتفق عليها شرائع الله فهو يدل على أنه كلفهم بقتل أنفسهم قتلا حقيقة إما بأن يقتل كل من عبد العجل نفسه فيكون المراد بالأنفس الأرواح التي في الأجسام فالفاعل والمفعول واحد على هذا وإنما اختلفا بالاعتبار"⁹¹.

⁹⁰ ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج5، ص186.

⁹¹ المرجع السابق، ج1، ص503.

وهناك العديد من الأمثلة التي تؤيد ما ذكر من الجوانب الإبداعية التي التزم بها ابن عاشور فأضفت على تفسيره قالباً خاصاً، ومظهراً زاهياً يستلذ القراء من خلاله، بما في القرآن من المقاصد والدرر، ومع وجود التباين بين الاتجاه الهدائي⁹² بزعامة رشيد رضا والأفغاني، والاتجاه التجديدي المقاصدي⁹³ بزعامة ابن عاشور، إلا أن كلا الاتجاهين⁹⁴ يتفقان على أن للقرآن مقاصد جليلة لها دور في حياة المسلمين وحل مشاكلهم الواقعية⁹⁵.

وبهذا نستطيع القول بأن النظرة الإبداعية التي تحلى بها ابن عاشور قد أضفت إلى جمال تفسيره جمالاً علمياً كبيراً جعل من تفسيره موسوعة علمية حوت مختلف العلوم والمعارف، وأشارت إلى سعة علمه وأصاله فكره وثقافته.

الخاتمة والنتائج

الحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، هو أهل المحامد كلها، لا يحصي الخلق ثناءً عليه، وبعد:

فلقد توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

إن مفهوم الاتجاه التفسيري يتحدد أساساً بمجموعة من الآراء والأفكار والنظرات أو المباحث التي يتبناها رواد اتجاه تفسيري بصورة أوضح من غيرها، وتكون غالبية على ما سواها، ويحكمها إطار نظري أو فكرة كلية تعكس بصدق مصدر الثقافة التي تأثر بها صاحب التفسير ولونت تفسيره بلونها.

⁹² يرى رواد الاتجاه الهدائي في التفسير أن المقصد الأعلى من القرآن الكريم هو هداية الناس، وإرشادهم لما فيه سعادتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة، وأن ما وراء هذا المقصد يعتبر تابع له.

⁹³ يرى رواد الاتجاه التجديدي المقاصدي أن بيان المقاصد القرآنية وتحليلتها يتم من خلال توظيف مختلف الأساليب والوسائل والعلوم (من لغة وبلاغة، وأصول فقه، وعمران واجتماع، وسياسة) في الكشف عن مستويات المقاصد وأنواعها.

⁹⁴ للاطلاع على الفرق بين مفهوم المقاصد عند الاتجاهين: (انظر: حامدي، عبد الكريم، مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1429هـ-2008م) ص35-51.

⁹⁵ رشواني، سامر، الاتجاه المقاصدي في تفسير ابن عاشور، (مجلة إسلامية المعرفة، العدد الثالث والعشرون، السنة السادسة، 1421هـ/2000م) ص106.

إن مفهوم الاتجاه الإبداعي في التفسير يتلخص بأنه: مجموعة الآراء أو الأفكار أو الاختيارات التي يذهب إليها أصحاب اتجاه تفسيري معين، وتتسم بالأصالة والتجديد، وتكون قابلة للقياس والتحقق.

إن أبرز الجوانب الإبداعية التفسيرية التي أضافها رواد مدرسة التفسير بالمأثور تتلخص في الترجيح بين الروايات ورد الأقوال الضعيفة، وبيان أوجه القراءات، والترجيح في الأوجه اللغوية، والإنكار على التفسير بمجرد الرأي.

إن أبرز الجوانب الإبداعية التفسيرية التي أضافها رواد مدرسة التفسير بالرأي النقد الموجه إلى الذين قيدوا العقل عن استنباط الفوائد، واستخراج الفرائد، وكذلك إلى رواد الاتجاه النقلي الذي حصروا التفسير على الروايات التفسيرية فقط، دون النظر والتفكير والتأمل الذي تدل عليه نصوص الكتاب الكريم.

إن أبرز الجوانب الإبداعية التفسيرية التي سلكها رواد مدرسة التفسير العلمي تمثلت في التصحيح للاتجاه الفقهي في التفسير، وكذلك تصحيح مفهوم أهمية التفسير العلمي مقارنة بالعلوم الأخرى، وكذلك الرؤية الإصلاحية لنظام التعليم في العالم الإسلامي.

يعد ابن عاشور من رواد المدرسة الحديثة في التفسير وقد حاول عبر مسيرته العلمية الطويلة، ورؤيته المقاصدية الإبداعية أن يواكب الواقع من خلال آرائه التجديدية والإصلاحية في تفسيره التحرير والتنوير، ومن خلال مؤلفاته الأخرى.

إن أبرز الجوانب الإبداعية التفسيرية في تفسير التحرير والتنوير من الجانب التنظيري التزام ابن عاشور بالجديد في التفسير حيث ذكر أنه سيأتي بنكت لم ير من سبقه إليها، وكذلك تصنيفه للناس حول التفاسير القديمة، ونقده للنظرة النقالية الجزئية في التفسير.

قائمة المصادر والمراجع

- الأطرش، رضوان جمال، رسالة في الإعجاز القرآني، (كوالالمبور: الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، الطبعة الأولى، 2007م).
- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، دلائل الإعجاز، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة: دائرة المعارف، د.ط).
- البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا، (بيروت: دار ابن كثير، الطبعة الثالثة، 1407هـ/1987م).
- ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد عبد الحلیم، مقدمة التفسير، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، (السعودية: الطبعة الثالثة، 1426هـ/2005م).
- ابن تيمية، أحمد عبد الحلیم، مجموع الفتاوى، تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار، (دارالوفاء، الطبعة الثالثة، 1426هـ/2005م).
- الخالدي، صلاح عبدالفتاح، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، (دمشق: دار القلم، الطبعة الثالثة، 1429-2008م).
- ابن منظور، محمد بن مكرم الأفرقي المصري، لسان العرب، (بيروت: دار صادر - الطبعة الأولى).
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، الطبعة 1399هـ / 1979م).

- شريف، محمد إبراهيم، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم، (القاهرة: دار السلام، الطبعة الأولى، 1429هـ/ 2009م).
- الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، د.ط، 1415هـ/ 1995م).
- الرومي، فهد بن عبد الرحمن، دراسات في علوم القرآن، (الرياض: الطبعة السادسة عشر، 1430هـ/ 2009م).
- الرومي، فهد بن عبد الرحمن، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1414هـ).
- الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، (لبنان: دار المعرفة).
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار المعرفة، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، 1376هـ/ 1957م).
- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة).
- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، 1997م).
- القطان، مناع، مباحث في علوم القرآن، (مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، 1421هـ/ 2000م).
- الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، (القاهرة: مكتبة وهبة، الطبعة السابعة، 2000م).
- الطبري، ابن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420هـ/ 2000م).

- زرزور، عدنان محمد، مدخل إلى تفسير القرآن الكريم وعلومه، (دمشق: دار القلم، الطبعة الثانية، 1419هـ/1998م).
- الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، (بيروت: دار المعرفة، د.ط.).
- الغزالي، محمد بن محمد، جواهر القرآن، تحقيق: محمد رشيد رضا القباني، (بيروت: دار إحياء العلوم، الطبعة الأولى، 1985).
- الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1425هـ/2005م).
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (دار ابن عفان، الطبعة الأولى، 1417هـ/1997م).
- جعفر، عبد الغفور محمود، التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، (القاهرة: دار السلام، الطبعة الأولى، 1428هـ/2007م).
- الغزالي، محمد، كيف نتعامل مع القرآن، (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الثالثة، 1413هـ/1992م).
- جوهرى، طنطاوي، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1425هـ/2005م).
- العلي، هيا ثامر مفتاح، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير، (الدوحة: دار الثقافة، د.ط، 1994م).
- ابن الخوجة، محمد الحبيب، مجلة الهداية، العدد 3-4، ص 11.
- ابن عاشور، عبد الملك، مهرجان ابن عاشور، 1984م، ص 3.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، أليس الصبح بقريب، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006م).
- واسي، صالح، منهج الإمام محمد الطاهر ابن عاشور الاجتهادي، (مجلة الهداية، العدد السادس والعشرون، السنة الثالثة والعشرون 1999م).

- حامدي، عبد الكريم، مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1429هـ/2008م).
- رشواني، سامر، الاتجاه المقاصدي في تفسير ابن عاشور، (مجلة إسلامية المعرفة، العدد الثالث والعشرون، السنة السادسة، 1421هـ/2000م) ص106.